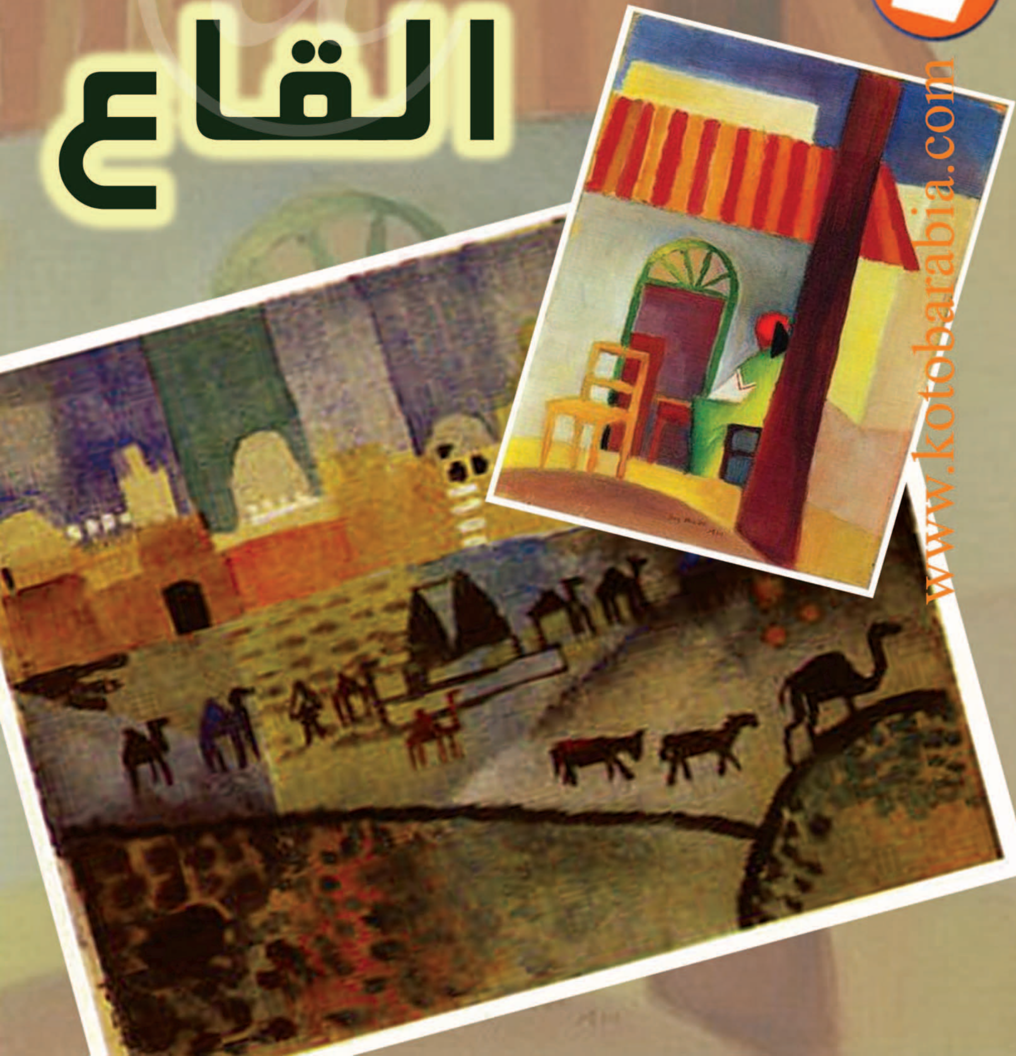
رواية

متولى الشافعى

القاع



رواية

القاع

متولي الشافعي

إهداء

إلي أبي...

وإلي الشافعي الكبير جدي...

وإلي أبنائي أحمد وعمر ومحمد

متمنياً أن يصيبوا بعضا من حكمة جدهم الأكبر

(١)

تجرجره من فوق الحصير المطبوع في قفـاه وركبتيـه العاريتين وساعديه المفتولين، تتكوم أمعاؤه تحت قبضـة يدها، تخرم الأنامل جلد بطنه، تهبش كفها الطليقة صدره، تتوه في تضاريسه، ينساق معها، تطل برأسها الفضـيحة من النوافذ والأبواب. تتعقد الخطوط في جبهتـه، لا لـن يفعلها، حتى لو لطخت وجهه بـالطين، تتقـافز لتطـول وجهه، يود لو ينحني لها لتشبع فيه ضرباً ولكمـا حتـى تستريح، تخر الدور وتتركب وراءهـم بـبطء، يتشـقق الشارع عن نباتات شوهاء، تزداد خلفهم، تلعن آبـاءهم، يتكومون بعيدا يم ينسلون كورد النيل في ماء المصـرف الكبير. تبصق في الهواء، ما الذي تنتظره يا ابن البلتاجي إذن؟ طحنت البامية الناشفة، ثم عجنتها، بعد أن نفضـت فوقها جول الدقيق الفارغ، تمدد قـدميك باتجـاه البـاب الموارب، ا يحرم أباك، حمل الأسية في جوفه ورحـل. تتقافز في الهواء، تلكمه في كتفه، يبرز شـارع الـدوار، يتسمر الأطفال في فوهته، يبلع عبد ربه بقيـة الكلمـات، وهو يتساند علي الشباك الوطيء يتبعه الشرقاوي والنادي،

ينادونها، يصفعهم صراخها المتصل، يتدحرجون خلفهـا، ارتخت يدها من فوق أمعائه، تتأمل كفها الأخرى والتـي امتلأت بالدماء المختلطة بشعر صدره النـافر. انـتفض الخفير من فوق المصطبة وهو يجذبه مـن يـدها، كمـا انتفض ابن البلتاجي لما رآه للمرة الأولي. كـان الثـور الأعجوبة أحدوثة التملية والبلدة كلها، اندهش الناس جميعا لارتفاع قامته وضخامة جسده، وترقبـوا الاسـم الـذي سيطلقه عليه المأمور، قطعت قهقهات المأمور ما يـدور في أذهانهم، وهو يشير نحوه وقال: إنه البلتاجي، أسـرع كبير التملية، وانحنى أمامه، وقال:

- يا زين ما اخترت يا بك، لو نطق لقال أنا البلتاجي.

راغت عينا ابن البلتاجي يمينًا ويسارا وهو ينز خجلاً وعارا، كانت ظهر كف عبد ربه قد التصقت بباطن كفـه الأخري، وقد تدلتا فوق مؤخرته فازداد انتفاخ بطنه فـي الفضاء، وظهر الشرقاوي متقوسا بجواره كمعدية فـوق قناة جافة، بينما لا يتوقف ما تبقى من ذراعي النادي عن الانتفاض وقد استمرار في رعشة لا إرادية مـن تحـت الثوب، بعد أن برزا كرأسي وتدين صغيرين في الهـواء.

يكظم عبد ربه غيظه وهو يمضغ ما تبقـي مـن الكـلام بسببها، فلقد كان علي وشك أن يلقن النادي درسا قاسـيا، حتى لا يتندر عليه مرة أخرى، فالنـادي لا يمـل مـن الحديث عن بطولته أمام الدراسة، فهو أسرع رجل يلقمها، عرفته قريتنا والقرى المجاورة، يصمد أمامهـا سـاعات طويلة، لا يوقفه سيل الغبار الذي يتـراكم داخـل أنفـه وصدره، ولا يهده صهد القيلولة، لا يملأ جوفهـا دفعـة واحدة فينكتم حلقها، ويسقط السير الجلدي الذي يربط بينها وبين الحراثة التي تديرها، لا يقع النادي في هذا الفخ أبدا، فهو ليس بالغشيم. مأمور التفتيش قالها له، وهو يصـفعه علي قفاه، الدراسة تخاف منك يا نادي، لا يتعبها إلا أنت، أنت رجلها الحقيقي. توشح النادي بكلام المأمور، وغبطه أهل القرية جميعا عليه، وفرقعة يد المأمور السمينة على قفاه أصبحت أمنية الكثيرين من أهالي القريـة، النـادي أسكره الكلام الحلو، يختال وهو يلقمهـا عيـدان القمـح، يتراقص وهو ينادي الشغيلة، ليلاحقوه بعد أن ينفـد مـا أمامه من أكوام القمح. والآن تفتح أفواهها، والنادي شاخ، سكاكينها تلمع تحت وهج الشمس، يقاوم أمامهـا، يقـذف

العيدان بخبرة العارف، تنتفخ العروق وتتلوى في ساعديه، والنادي يقاوم، والمأمور قالها زمان، أنت رجلهـا، هـل يخور أمامها، تتسع أفواهها، يلقمها في صـمت، تتكـوم عيدان القمح أمامه وتتجاوز صدره، لم يعد يري الشغيلة، ولم يعر تعليقاتهم انتباها، تخرج له ألسنتها، يتصبب عرقاً ترتفع أرجل الشغيلة في الهواء، وتتدلى رؤوسـهم فـي التراب، يناولنه العيدان بأرجلهم، تلمع السكاكين وتقترب، تبتلع أفواهها كفيه، تنهش السكاكين لحمه، وتقضـم مـا استطاعت من ذراعية، ولأول مرة يسقط السير منك يـا نادي.

الحكاية هي الحكاية كما نعرفها، ولكنه يضفي عليهـا كل مرة شيئًا جديدا، يجعلك تنصت لسماعها، ولكن هـل هذا يعطيك الحق لتسخر الحق لتسخر مني، وتتندر بمن؟! بعبد ربه يا نادي! وا لولا مجيئك يا فرحانة كالقضـاء المستعجل، لرددت له الصاع صاعين. ا يكون في عون امرأتك يا عبد ربه؟ وهو يشير نحو بطني المنتفخة، كيف تنام معها يا رجل؟ وامرأتك يا نادي ألا تستحق الـدعاء هي الأخرى، بيدها تضع اللقمة في فمك، وبيـدها تزيـل

عنك أوساخك، وعافيتنا تسربت منا جميعا في أرض الأميرة يوما بعد يوم، فلماذا تسخر مني يا نادي.

تميل رقبة العمدة من فرندة الدوار ليبصق، يتطاير الرذاذ في الفضاء المتسع أمام الدوار، فالربو أبى أن يفارق صدره منذ زمن بعيد، وكلما دارت رقبة العمدة يخيل غليك أن عبد ربه والشرقاوي والنادي يهمون بالوقوف، ورقبة العمدة لا تتوقف عن الدوران، وهم في جلستهم تلك القريبة من الدوار، حتى يتناقص الظل المتشقق من فوق رؤوسهم وينسحب، حيث تمتد من فوق الأسطح عيدان الذرة الجاف، فيتجهون للصلاة، وهناك ينبرون في قص كل ما رأت أعينهم ووعت أفئدتهم، وما تراءت في خيالاتهم من صور وتفسيرات.

كعمود الصاري ينتصب ابن البلتاجي، يلسعه سؤال العمدة وهو يبصق باتجاه أمه فرحانة:

- ابن البلتاجي فاكر نفسه ابن باشا يا عمدة... أسبوع وهو نائم في الدار... وأنت أعرف العارفين.
- أنت مجنون يا صابر؟ أبوك كان أعقل الناس يا ابني.

يأمر الخفير بأن يقيده ويضربه حتى تنط روحه مـن جسده، تتجمد أطرافها، وهي تتأمله، ثم تنظر إلى العمدة، وهي تتساءل:

- تقيد من يا عمدة؟!
- الصابر عقله فلت يا فرحانة... ابنك أصبح خطرا.
- لا يا عمدة كله إلا الضرب... أنا قلت إنـك ممكـن تصلح حاله بكلمتين من كلامك البارد.
- أنا كلامي بارد يا فرحانة؟!

يسقط عبد ربه علي الأرض وهو يعطي ظهره للدوار ويجلس كأن القيء قد فاجأه، وهو يسند بطنه بكفيه التـي حتما ستنفجر من كثرة الضحك المكتوم داخـل جـدرانها الرقيقة، واقتنص كل من الشـرقاوي والنـادي الفرصـة فاتجها نحو عبد ربه كأنهما يساعدانه، أما الخفير المفـش فلم يتمالك نفسه بعد أن سمع ضحكات كامل أفندي تجلجل من داخل الفرندة. تضرب منشة العمدة الهواء بقوة، وهو يلعن الجهل والقرية كلها، لملم كامل أفندي مـا انفـرط، وقال:

- فرحانة كبرت وخرفت يا عمدة، ولكن نيتها سـليمة.

وتقدم الصابر وقال:

- أخبرني الناس أن أمي وضعتني في أرض المصلحة، وسعيت وراء البلتاجي أبـي وأنـا صـغير، كـانوا يكتبونني بنصف نفر، ولما أصـبحت فـي حافظـة الجمعية نفرا، رقصت الدنيا في قاعه دارنا، لا فـي يوم تعبت من الشغل ولا مليت، لكـن يرضـيك يـا عمدة، يا كبير بلدنا، إن المأمور يسمى الثور الكبيـر بالبلتاجي، باكر البلتاجي يحرث في أرض الكـاجبي، البلتاجي اليوم في أرض الأصـالي، البلتـاجي راح، البلتاجي جاء. فيضحك العمدة هذه المرة، وتهتز بطنه ومنكباه:

- آه يا عبيط، المأمور كان يحب أباك، وأبـوك كـان أقوى رجل في البلد كلها، والعجل الذي أنعم المأمور على أبيك وسماه أقوى ثور رأته المصلحة، ولا إلـه إلا ا ، العقدة البارزة بين حاجبيه تشبه العقدة التـي كانت في جبهة أبيك، المأمور يعرف الأصول، والعلم

نور يا صابر، ثم إنه اختار لبقية الثيران أسماء أناس من البلد، كل واحد حسب رسمه وصفته.

- المأمور أمر أن أحرث عليه وألازمه يا عمدة.
- يعني خيرا تعمل شرا تلقى يا ولـد، هـو هدفـه أن يذكرك بأبيك المرحوم دائما يا صابر.

انتصب الثلاثة من جديد في منتصف الشارع، بعد أن تخلصوا من أكوام الضحك التي ملأت صدورهم، وظهر في أعينهم هذه المرة شيء من الشجن الممزوج بـالحزن الدفين، بينما كانت ضحكات العمدة وكامل أفندي تتوالى. اعتدل كامل أفندي في جلسته وقال:

- كان الحاكم الإنجليزي قد أعجب ببنـت مـن بنـات الباشوات، رآها يا ابن البلتاجي صـدفة... أي وا صدفة... وأحبها حبا شديدا... سامع يا صابر، حبـا شديدا، وطبعا لا يستطيع أن يتزوجها لأنه علي غير الملة يا صابر... ماذا يفعل يا ابن البلتاجي؟... كان عنده كلبة حلوة... فسمى الكلبة باسم بنت الباشـا... هل حزن الباشا؟... لا وا يا ابن البلتاجي... لأنـه كان أعقل منك ومن أبيك البلتاجي...

تنقلت عيون فرحانة بين الجميع، ثم اتجهت نحو ابنها وبطرف كمها راحت تزيل أثر الخربشة من وجهه وصدره، ثم أعطت ظهرها للدوار وهي تربت على كتف ابنها، وتبعها الشرقاوى والنادي وعبد ربه، فتوالت بصقات العمدة باتجاههم وهو يقول:

- اسمع كلام المأمور يا ابن البلتاجي.

وبعد أن تأكد عبد ربه أنهم ابتعدوا بعيدا عن الدوار قالها بصوت خفيض:

- ابنك رجل يا فرحانة، والرزق با   يا أختي.

يتراقص شعاع اللمبة الجاز في أرضية المكان ونحن نلتف حولها في المساء ككل ليلة، تضيق عينا أمي أحيانًا، فتتكرمش الدائرة حولها، وينبسط ما حولهما أحيانًا، يلفنا الصمت والدهشة وتراقص الشعاع، وهي تحكي عن الصابر والعمدة والمأمور، تميل رقبة الصغير أخي وهو يتفل كما العمدة، فيقطع الصمت، وأهب واقفًا على أطراف أصابعي حتى أكون مثل الصابر.

(٢)

تدافعت أسنانه كحراب متلومة متنافرة، أثقلها الصدأ، يلفحنا صراخه الممتد في الفراغ. الطاحونة تدور في أسفل بطنه ما تزال، تخطف يده مـن أمامهـا تنـاثر أحـرف متكسرة بين الأسرة. يساقط السائل الأحمر داخل الأنبوبة المحشورة بين ساقية والممتدة إلى القاع، يتدلى منها كيس بلاستيكي مثبت في أسفل السرير، يتـأوه الراقـد علـى السرير المقابل. قذفنا جوف الباب في الردهة الممتدة، أمام حجرتها تسمرنا، لم تقطع حديثها، انتبهـت مـع الـرذاذ المتطاير من أفواهنا، لا تستطيع أن تفعل شيئا وهي تقاوم حدة الرذاذ، وأين الطبيب؟ سيأتي في العاشرة مساء، لفنـا العجز، أمام سريره انتكسنا، نرفع يده من أمام الطاحونة، كل الأسرة تتلوى من فوقها، أنابيب محشورة بين السيقان، ينساب داخلها السائل الأحمر، أوراق متربة تبدو كأشرعة مهترئة لا حراك فيها، تحملها أشجار خرساء، ملتصـقة بالنافذة. بجانب السرير افترشت الأرض بجواري كومـة من النساء القرويات، لا يتحركن إلى ليفـرغن الأكيـاس

المثبتة في أسفل الأسرة في أماكنها، بالإشارات دائما يبدأن، ثم تعلو الهمهمة بينهن شيئا فشيئا.

تحدق صفية في المتمدد علي السرير أمامها، ويداها تتحسسان القدمين الباردتين اللتين امتصهما الشرق، فالحذاء للعيدين، ولتأدية واجب العزاء، يهرول خلف الزحافة في أرض الغير الوسيعة، يتأملها بعيني صقر، يجرف من العالي ليسوى به الواطي، يتركها كما الحصيرة، ينادونه بالريس، يداه كالميزان، أسعد لحظاته – وقد انتهى من عمله، حيث يجلس الصابر على حافة الأرض ثم يشعل سيجارته، يتأملها بعشق وقد استوى كل شيء بعد أن انداح العالي في الواطي، تتكور يداه، وهي تدق فحل البصل، تتناثر البصلة تحت يديه، كل شيء يهون من أجله، سيكون ابنك مثل ابن المأمور، فقط الصبر.

تأمل عقارب الساعة، العقارب تدور في كفه، يتلوى سلك نحاسي بين قبضة اليد وصدره، ينتهي بدائرة قضية في منتصف الصديري. ساعة بكتينة وبالطو أسمر هدية أمه فرحانة ليلة زفافه، باعت الكردان، فالليلة ليلة صابر.

فك الدائرة المعدنية من قلب الصديري، لف العقارب في منديله المحلاوي، وفي الجيب الضيق حشر المنديل، وارتدى جلبابه، ثم مضى نحو المدينة. لم يعد سوى حمار واحد في التخشيبة، تصب لعنات العمدة على رأس الصابر وحده الآن، قبل أيام كانت تتساقط فوق رأس القرية كلها اللعنات، ونهيق الحمار لا يتوقف، والجرن الملفوف بجذوع الأشجار المنتصبة والمواجه لدوار العمدة قد فرغ من الحمير والبقر والأواني النحاسية، إلا حمارك يا صابر ما زال ينهق، والعمدة يأكله الغيظ، يضرب الهواء بمنشته، هل سيرحل الصابر ويفارق عتبته مع الراحلين، أم سيبقى؟

ترك الحمار في التخشيبة واختفى، ثلاثة أيام وهم يرتعون في الدوار، قال أحدهم: إن لصوته في سكون الليل لسحرا، تتوالى رجاءات العمدة وتتكدس أمام دكان الأحدب، فيفك عتبة واثنتين وثلاثا من أجل خاطر العمدة، ومراسيل العمدة لم تنقطع في الأيام الماضية،والخفر يجرجرون له الرهونات من التخشيبة، فمن يملك نقودا غيرك يا أحدب،؟ ومندوبو الأميرة مرتاحون لنهيق

الحمار في التخشيبة، يا خراب بيتك يا عمدة، والأحـدب يتلكأ، يرضي عمن يشاء، ويمنع من يشاء، وكـل شـيء لديه بحساب، يتأمل الأواني الصدئة، يقلب قرطا في يده، يضعه في عين الشمس، ، يهب الشرقاوي ما يفـك بـه العتبة، فيد الأحدب هي الميـزان، وعينـاه همـا اللتـان تقدران، تنبسط أصابع الشرقاوي المقبوضة طوال الطريق أمام المندوبين، وهو يتمتم: الدار ولا النار. والنار تشتعل، ولهيبها يحمر ويرتفع، والأحدب يساوم، والعمدة قد ركبه ألف عفريت، يود أن ينفض السامر في أسرع وقـت، لا يهمه من سيبقى ولا من سيرحل، المهم أن يرحل ضيوف الأميرة وهو راضون مطمئنون، والنادي تورمـت منـه القدمان، حول الساقية دار، في أرض الأميرة دار، فـوق الدراسة لف ودار، حول العتبة الآن يدور، وحتما سيرحل ليدور من جديد، فلا الخفر وجدوا لدية شيئا يـرتهن فـي التخشيبة، ولا عنده ما يمني به الأحدب، يتأمـل النوافـذ والأبواب، يتسمر أمام الحيطان، تخترق أنفاسه الهواء، ثم يقرفص على العتبة، وعبد ربه قابض على أعمده السرير الصدئة، وقد دفس رأسه في سابع أرض، وبئران عميقتان

قد ضاقت فتحتهما وتهدمتا، تنزفان على وجهه ماء دافئًا، تهتز الأعمدة بين يديه، فيترجرج بطنه المنـتفخ أمامـه، وصفية عيناها غاديتان على سكة المحلة، والصابر تأخر، تتنسم أنفاسه، تملأ صدورها من بعيـد، وعلـى العتبـة جلست، ترد الخفير بإشارة أو كلمة متكسرة، يحمل الخفير لكمات العمدة فوق أكتفافه، ونهيق الحمـار لا يتوقـف، ومعزوزة على الدار كشجرة جرداء معوجة الجذع ملتوية الأغصان، والقدمان مرشوقتان في العتبة، تنـادي دائمـا ولدها:

ما قتلك رصاص العدا يا ضنايا

لكن في حشاك انغرس رصاص أخوك

لا تكف عن العديد منذ عام ٤٨، لا يستطيع خفير أن يقترب منها وإلا نهشته، تتفل على الجميـع إلا الصـابر، ترمي رأسها في صدره وتبكي، يتـدحرج الخفيـر بـين العمدة وبينهم، وصفعات العمدة تلتف حول رقبته، فتحمر أوداجه ويعلو صوته، أمام عتبـة عبـد ربـه والنـادي ومعزوزة، متمنيا أن تحمله الريح حيـث يقبـع العمـدة وضيوفه، وهم في انتظار الآتي، تتسـمع صـفية إيقـاع

القدمين، والعينان حائرتان علي الطريق، وهي لا تفـارق العتبة، والصابر يشق الهواء بجناحيه، تتطوح الريح أمام صدره، فتتمايل على الجانبين، يسمع نهيق حمـاره مـن بعيد، سيارة المندوبين بلون السحلية التي تنقل الموتى من مستشفيات البنادر راقدة أمام الدوار مـا تـزال، يسـرع الخطى، وأمام مندوب الأميرة أخرج منديله المحلاوى ثم فرده، وعد نقودا لعتبة معزوزة ولعتبة عبد ربه والنـادي ثم الصابر، ينفض المنديل قبل أن يجفف به جبهته، تمسح عينا العمدة جسد الصابر الممشوق، الحمار يا عمدة، فـي التخشيبة يا صابر، ابتسمت صفية لما توقف نهيق الحمار، وانتصبت هي تمسح أثر التراب، الذي علق بمؤخرتهـا، رائحة الصابر تسبقه دائما، تملأ الخياشيم والصدر، ترتمي رأس معزوزة في صدره، يربت على رأسها: لا تقلقي يا خالة، ثم يشير نحو صفية: طمئني عبد ربه والنادي... لقد دفعت لهم العتبة.

تتنوع الحكايات وتتشـابه، لا يقطعهـا إلا السـعال والآهات، فتسرع النسوة وهن يخبـئن فـي ملابسـهن،

يلتصقن بالأسرة، ثم يفرغن الأكياس التي امـتلأت فـي أماكنها.

سقطت عيناي على يد تتشبث بالحائط الأملس، بينمـا الأخرى ترفع الكيس المتدلي من تحت الثوب، والقـدمان المنفرجتان تتجهان نحو بيت الراحة، مشهد واحد ووجوه مختلفة، كف عجوز ترفع الكيس بحذر، وجـوه متعـددة، وسيقان متنوعة الانفراج، في الردهة الطويلـة الممتـدة، طالعتها وأنا أغادر المكان، بعد أن اتفقت أنا وزميلي على أن نتناوب حتى ينال كل منا قسط من الراحة.

يهيأ لي أن قدمي تتباعدان، أتحسس ما بـين سـاقي، تلوثت يداي من الكرات الصغيرة الحمراء والتـي تنـدفع بغزارة، حاولت أن أضم القـدمين، ولكـن بـلا فائـدة، فالانفراج يتسع، صحيح أنني مشيت بهذه الطريقـة وأنـا صغير، وكان الجميع يضحكون مني، وكنـت أشـاركهم الضحك أحيانا، فقد كان صباحا جديدا لم تهدأ أمي فيه عن الحركة، فقد ذبحت الإوز والبط مع أذان الفجر وراحـت تنظف الدار وتشرف على الطبخ، وهي تغني موالا قديما والجميع يرقب قدوم الأسطى إسماعيل الحلاق، ومـا أن

وصل وخلفه رجل بدين يتأبط حقيبة صغيرة حتى فرقعت أمي زغرودة سمعها جيران الجيران، أرقدني الرجل البدين بعد أن وضع الحقيبة أمام الأسطي إسماعيل، وفرج ما بين ساقي، قاومته كثيرا ولكني استسلمت أخيرا، عندما أحسست برأسي في حجر أبي ويدي بين قبضة يده، وابتسامة ممتزجة بالشفقة قد ارتسمت على شفتيه، ولما أكمل الأسطي إسماعيل مهمته، قالت أمي: بعد أن أطلقت الزغرودة الثانية، وهي تهم بتنظيف أثر الدماء من تحتي لقد تطهرت يا نور العين، ولف أبي الرجس الذي فصله مني الأسطي إسماعيل في خرقة من القماش، بعدها بعدة أيام كنت أمشي داخل دارنا، منفرج الساقين، وكنا نضحك جميعا. أما الآن فجسدي ينتفض، وجبهتي تنزف رعبا وعرقا، أتوقف لأتأكد أن الساقين مقتربتان، عندما أمشي أحس بالانفراج وكرات حمراء صغيرة تتدافع، الانفراج يتسع ويتسع.

ماذا يقول الناس عني الآن؟ أحاول ضمهما، تقع عيناي عليه، يسرع كعادته يكاد لا يرى ما حوله، إنه سالم صديقي الموظف في مجلس المدينة، ترى هل هو ذاهب

إلى المجلس أم إلى المصنع؟ إنه يعمل في مصنع قادوس مساء. لم أعد أدري أذهب هو أم عائد؟ إن قدميه تتباعدان وسيل من الكرات الحمراء تتقافز من بين ساقيه، الآن لم تعد تشغله نظرات الناس، فها هم جميعا عمـال الـورش والمخابز والباعة الجوالون، منفرجـو السـيقان، يـزداد الانفراج ويتسع، والكرات الصغيرة الحمراء تتدافع مـن بين سقيانهم، إنهم يضغطون على أسفل بطونهم مثلي.

كان العرق ينز من جبهة السائق، أراه وهو يتحسـس بطنه، سقيانه أيضا تتباعد وهو يقود السيارة، السيارة تتجه يمنيا ويسارا في وقت واحد، الكرات الحمـراء تتصـاعد فوق أرجله وتزحف نحو وسطه، ولكنه يتبسم، إنه يضحك ويتمايل.

ضحكات السائق تتوالى وهو يسبح في كومـة مـن الكرات الحمراء، أنكمش بعيدا عنه، أخشـي أن أتلـوث، يتعجب لانكماشي وانزوائي بعيدا عنه ، يشـير نـاحيتي، الكرات الحمراء تغطي أرجلي وتزحف نحو صدري أنـا الآخر، أناس قريتي يتطوحون، منفرجي السيقان، الكرات الصغيرة الحمراء تلوث ملابسهم، تتدافع بغزارة، تتهادى

من الشوارع والأزقة نحو البئـر، وتعلـو داخـل البئـر وتتراكم، أحاول ضم قدمي، تتباعد القـدمان وتتنازعـان جهة اليمين وجهة اليسار، لم أعد أعرف دارنا، تتقافز هي في الهواء، تستريح فوق الدور، كل البيوت صارت مرتعا لها، تنطلق في كل مكان، منذ قدومها وهي تـدور حـول البئر، في البدء، سخر منها النـاس، كـانوا يضـحكون لرؤيتها فرأسها تدور حول جسدها، تبرز منه عدة قرون، الرأس رأس ثور، والجسد لقردة لعوب، تـدور قـرون، الرأس رأس أطفال قريتي يختفون واحـدا تلـو الآخـر، يرهبها الناس، أناس قريتي يلهثـون، يرفعـون أقـدامهم بتثاقل، تمص السائل الأحمر بنهم، تنطلق نحوي، وهـي تتقافز، تلعق ما بين ساقي، قرونها الستة تتوهج، تقتـرب مني، تنغرس في صدري، أصرخ، أستيقظ مذعورا.

كان السعال يتدافع من المتمدد على السرير المقابـل، تفتحت عيناي على كومة من النساء القرويات، كن مازلنا يتحسرن على الزمن الفائت.